الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابناً لابـنـةِ فِـرعَـون* مختـاراً الشَّقاءَ مع شعبِ اللهِ على التّمتُّع الوقتيِّ بالخطيئة* ومُعتبراً عـارَ المسيحِ غنًى أعظمَ من كُنوزِ مِصر. لأنَّه نظرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عـن جـدعـونَ وبـاراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الـذيـنَ بـالإيمانِ قَـهَـروا الممالكَ وعملوا البِرَّ ونالوا المواعِـــدَ وسدُّوا أفـــواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النار ونَـجَـوا مـن حَـدِّ السَّـيـفِ وتقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِـدَّاءَ في الحربِ وكسـروا معسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتـهـنَّ بـالـقـيـامةِ وعُـذِّبَ آخـرونَ بـتـوتيرِ الأعضـــاءِ والضـــربِ ولم يـقـبـلـوا بـالـنجاةِ ليحَصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون

وَجَدْنا المَكتوبَ عنه

إنّ الإنجيل بحسب يوحنّا، الذي كُتب في مرحلة متأخّرة من القرن المـيـلاديّ الأوّل، هـو مـطـالـعـة لاهـوتيّـة مـوجّـهـة إلـى مـخـتـلـف شرائح الناس بهدف التأكيد على أنّ الربّ يسوع هو المسيح المنتظر، وهـو ابـن الـلـه المـتـأنّس. نقرأ في مطلـع الإنـجيل أنّ الكلمـة كان قـــبـــل بدء الـخـلـيـقـة، وأنّه الـلـه نـفسه، وبه كُوِّنَ كلُّ شيء، لأنّ الـحـيـــاة كانت فيه، وهو الـنـور الـحقيقيّ الذي يـنـيـر كلَّ إنســانٍ آتٍ إلـى الـعـالـم. نـقـرأ بـعدئذٍ عـن يـوحـنّـا المـعمدان الـذي جـاء لـيشهد للنّور الذي يُصَيِّر المؤمنين به أبناءً لله، وقد شهد المعمدان أنّ المسيح هو ابن الله. نرى، بعد ذلك، كيف أنّ أندراوس، بعد أن مكث عند يسوع يـومًـا واحدًا، وجد أخـاه سـمـعـان وقال له: «قد وجدنا مسيّا»، الذي تفسيره المسيح، ثمّ يأتي المقطع الإنجيليّ الذي نقرأه اليوم كتتمّة لِما سبق، وبمثابة تأكيد على هذا الكشف الماسيانيّ.

نجد الربَّ يسوع، في إنجيل اليوم، يدعو فيلبّسَ ليتبعه، ثمّ نرى فـيـلـبّـس يـفـعـل مثلما فعل أندراوس حين أخبر أخاه سمعان عن المسيّا، لكنّ فيلبّس أخبر نثنائيل عن يسوع قـائلاً: «وجدنا الذي كتب عنه موسى فـي الـنـامـوس والأنـبـياء، يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة». الإنطباع الأوّلـيّ الـذي يـنـتـج عـنـدمـا نقرأ هذا النصّ هو أنّ الإنسان لا يمكنه إبقاء المسيح لنفسه فـقـط عـنـدمـا يـتـعـرّف عليه. يدفـعـنـا الفرح الـنـاتـج عـن محبّة الله إلى مشاركته مع كـــلّ إنســـان، عـلـى عـكس الـفـرح الـنـاتـج عـن مـحـبّـة الذّات الأنـانـيّـة الـقـاتـلة التي تجعل الإنسان منغلقًا. الله، من جهة ثانية، هو لا متناهٍ ولا محدود، هذا يعني أنّ تـقـدُّم الإنســان فـي مـعـرفـة الـلـه لا متناهٍ ولا محدود، لأنّنا لا نستطيع إدراكه بكليّته. صحيحٌ أنّ الله واحد، لـكـن لـكـلٍّ مـنّـا خـبـرته الخاصّة في علاقته معه، لأنّ كلَّ إنسان يتميّز عن الآخرين بنموّه في معرفة الله. هـكـذا، يسـاهـم إيـماننا الواحد بالله وخبراتنا المتنوّعة معه، في بنيان الـجسد الـواحد، أي الـكـنـيـسـة، الـتـي يـرأسـهـا المسـيـح «إلـى أن نـنـتـهـي

العدد ٨ / ٢٠١٨
الأحد ٢٥ شباط
الأحد الأول من الصوم
(أحد الأرثوذكسية)
تذكار أبينا الجليل في القديسين
طاراسيوس القسطنطيني
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الخامس

جميعنا إلى وحدانيّة الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣). تأتي، من هنا، أهميّة مشاركة خبراتنا في علاقتنا مع الله، لأنّ هذه الخبرات تتكامل بعضها مع بعض، فتُكمل خبرةُ الواحد نواقصَ خبرةِ الآخر.

قال فيلبّس لنثنائيل عن المسيح: «لقد وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء». يعني هذا أنّهم كانوا يبحثون عمّن تنطبق عليه نبوءات العهد القديم. موسى هو أحد الأنبياء، لكنّه ذُكِر بالإسم تمييزًا له عن باقي الأنبياء، إذ إنّه وضع الشريعة بإلهام إلهيّ وكان له مقام فريد لدى الشعب العبرانيّ. يؤكّد لنا البحث في أسفار العهد القديم أنّها كانت تهيّء لحضور المسيح. مثلًا، قال موسى إنّه سيأتي من نسل المرأة مَن يسحق رأس الشيطان (تك ٣: ١٥)، أمّا النبيّ إشعياء فتنبّأ عن مولد المسيح من عذراء: «ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش ٧: ١٤) ذاكِرًا بعض صفاته (إش ١١) وأنّه سيُلطم على خدّه (إش ٥٠: ٦) وأنّه سيكون صامتًا أمام محاكميه ويتألّم من أجل البشر ويُحصى مع الأثمة (إش ٥٣). داود النبيّ، بدوره، ذكر صفات المسيح (مز ٤٥)، وأنّه سيقوم شهودُ زور على المسيح (مز ٣٥) وسيُبغَضُ بلا سبب (مز ٣٥) وتُثقب يداه ورجلاه ويقترعون على ثيابه (مز ٢٢) ويقدّمون له خلًا في عطشه (مز ١٦). النبيّ ميخا تنبّأ أنّ ولادة المسيح ستكون في بيت لحم (مي ٥)، والنبيّ إرمياء ذكر كيف سيُقتل أطفال بيت لحم (إر ٣١)، والنبيّ هوشع تكلّم على هربه إلى أرض مصر (هو ١١).

تساعدنا النبوءات المشيرة إلى المسيح المذكورة أعلاه، وغيرها التي لم نذكرها، على التأكّد من أنّ يسوع هو المسيح ابن الله الحيّ، الذي دعانا بنفسه لنبحث عنه في الكتب المقدّسة: «فتّشوا الكتب لأنّكم تظنّون أنّ لكم فيها حياةً أبديّة، وهي التي تشهد لي» (يو ٥: ٣٩). الكتاب المقدّس، بعهديه، يشهد للمسيح. كم نحن محتاجون إلى أن نغرف من مناهله لنتقدّم في معرفة ابن الله. ليست معرفتنا لإبن الله مجرّد معرفة فكريّة أو نظريّة، بل هي معرفة حياتيّة، لأنّ ابن الله هو شخص وعلينا أن نبني علاقة معه من خلال الصلوات والتأمّل في تعاليمه وحفظ وصاياه لأنّه قال: «إن كنتم تحبّونني فاحفظوا وصاياي» (يو ١٤: ١٥). الحاجة إلى هذه الخبرة الشخصيّة في العلاقة مع المسيح دفعت فيلبّس ليقول لنثنائيل بعدما شكّك هذا الأخير بكلامه: «تعالَ وانظر». دعوتُنا اليوم هي أن نفتّش الكتب ونقترب من المسيح لننظر كيف ستلتهب قلوبنا عندما نسير معه في طريق الحياة لأنّه «يكلّمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب» (لو ٢٤: ٣٢).

البروجيازماني

خدمة قدّاس القدسات السابق تقديسها هي الخدمة الليتورجيّة المعروفة بالـ«بروجيازماني». تُقام هذه الخدمة حصرًا خلال الصوم الأربعينيّ الكبير المقدّس (ما عدا السبوت والآحاد وعيد البشارة)، وفي الأيّام الثلاثة ذاقوا الهُزءَ والجلدَ والقيودَ أيضاً والسِّجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جُلودِ غنمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* (ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضَلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوعُ الخروجَ إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة أندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ

فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللـه أنتَ مَلِكُ إسرائيل* أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةَ اللـه يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

«وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجَلدَ والقيودَ أيضاً والسِّجن، ورُجِموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف... فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ».

أيَسأم من ذكرى الشهداء من يحب الشهداء؟ إن إكرام الصلاح من شركائنا في العبودية يبرهن على حبنا للرب. ومن الواضح أن من يثني على الرجال العظماء يُظهر أنه لا يتأخر عن الاقتداء بهم إذا سنحت الفرصة. فقرّظْ إذاً الشهيد عن اخلاص فتضحي الأولى من الأسبوع العظيم المُقَدَّس. يتناول المؤمنون في البروجيازماني من القُدسات الإلهيّة التي يكون سبق تقديسها في قدّاس الأحد. يقول القانون ٥٢ من قوانين مجمع «ترولّو» (٦٩٢ م): «تُقام ليتورجيّة القدسات السابق تقديسها كلّ أيّام الصوم الكبير المقدّس، ما عدا السبوت، ويوم الربّ (الأحد)، ويوم عيد البشارة المقدّس». ينسب التقليد الكنسيّ تأليف هذه الخدمة وترتيبها إلى القدّيس غريغوريوس المُحاور بابا رومية (+٦٠٤ م) الذي تعيّد له كنيستنا المقدّسة في ١٢ آب. إلاّ أنّ ثمّة دلائل من القرن الخامس تشير إلى وجود هذه الخدمة في الطقس البيزنطيّ، فيكون القدّيس غريغوريوس بذلك هو جامع مكوّنات الخدمة وواضع هيكليّتها وترتيبها.

معلوم أنّ موسم الصوم الكبير، في فهم الكنيسة الأرثوذكسيّة، هو رحلة خروج من أرض العبوديّة إلى أرض الميعاد، رحلة «سفر إلى الفصح الإلهيّ»، تقتضي تكثيفًا للجهادات والتوبة والصلوات، فتزداد فيها تاليًا الحاجة إلى التشدّد بالمناولة قدر الإمكان. يرتدي القدّاس الإلهيّ طابعًا إحتفاليًّا خاصًّا لا يلائم الطابع الجهاديّ الصيامي، لذا ارتأت الكنيسة المقدّسة أن يتناول المؤمنون، خلال أيّام الأسبوع في الصوم، من قرابين تمّ تقديسها خلال القدّاس الإلهيّ يوم الأحد السابق. إذًا، لا تتضمّن ليتورجيّة الـ«بروجيازماني» تقديسًا للقرابين أي تحويلاً للخبز والخمر إلى جسد ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح ودمه.

شكلاً، البروجيازماني هو صلاة غروب للأيّام العاديّة في الصوم الكبير، تُضاف إليها بعض الصلوات التي ترسي جوًّا من التهيئة للمناولة، وتُتَوَّج بـ«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرّبّ» إيذانًا بالتقدّم إلى القُدُسات الإلهيّة. يفتتح الكاهن الخدمة فيبدأ القارئ بتلاوة المزمور الإفتتاحيّ المُعتاد لصلاة الغروب «باركي يا نفسي الرّبّ...». تلي المزمور الطلبة السلاميّة الكُبرى، التي تعبّر فيها الكنيسة، في كلّ صلاة، عن أمرين، أوّلهما أنّه لا يمكننا الإنتماء إلى الله ما لم نكن سلاميّين، إذ إنّ إلهنا إله سلام لا خصام وقلاقل واضطراب: «بسلام إلى الرّبّ نطلب... من أجل السلام الذي من العلى... من أجل سلام كلّ العالم...». أمّا الأمر الثاني فهو الطابع «الكونيّ» للصلاة، إذ تشمل الكنيسة الكلّ في صلاتها. تُتلى بعد الطلبة ثلاث مجموعات كلّ منها تحوي خمسة مزامير (١١٩ إلى ١٣٣)، تفصل المجموعة عن الأُخرى طلبة صغيرة ودُعاء. أثناء تلاوة المزامير تُغلق ستارات الهيكل ويهيّء الكاهن القرابين السابق تقديسها لتصبح جاهزة لمناولة المؤمنين.

مَن يتأمّل جيّدًا في مجموعة المزامير المذكورة يفهم أنّها لم توضع هناك عبثًا، وأنّها تخاطبه وتحاكي وَضعَه وهو في رحلة العبور الفصحيّ: مِن صرخة المؤمن الذي أيقن أنّه تائه في أرض غربة عن الله وهو في الوقت عينه واثق بأنّ معونته من عند الرّبّ صانع السماء والأرض، إلى الشوق المتأجّج للعودة إلى بيت الرّبّ (الحضن الأبويّ)، مع

توسّلات التائب الحقيقيّ الصارخ إلى الرّبّ من الأعماق وهو في الوقت عينه واثق برحمة الرّبّ، إلى بدء الفرح بغلبة الرّبّ «قم يا ربّ إلى راحتك أنت وتابوت قُدسك». لا بدّ من الإشارة إلى أنّه عندما تصل القراءة إلى الآية المذكورة، ينجز الكاهن تهيئة القدسات الإلهيّة لتصبح طعامًا للمؤمنين، الأمر الذي يُظهر لنا جمال ترتيب هذه الخدمة والترابط الرمزيّ المقصود الذي يضفي جماليّة على الصلاة. عند ختام المزامير، نكون كأنّنا أمام تذوّق مُسبق لحلاوة الحياة الأبديّة المُعطاة لنا بوفرة، بواسطة فصح إلهنا الخلاصيّ: «ألا ما أحسن وما أجمل أن تسكن الإخوة معًا... لأنّه هناك أمَر الرّبّ بالبَركة والحياة إلى الأبد» (١٣٢: ١-٣) و«ألا باركوا الرّبّ الآن يا جميع عبيد الرّبّ الواقفين في بيت الرّبّ». كأنّنا بالكنيسة تقول: «ما دمتَ مشدودًا إلى الفصح فأنتَ في الفصح. فقط ثابر في جهادك ولا تتهاون».

بعد ذلك، تُرَتَّل مجموعة مزامير الغروب المعتادة: «يا ربّ إليك صرخت...» ومعها تُتلى قطع الصلوات المخصّصة لزمن التريودي، مع القطع المختصّة بقدّيس اليوم التالي (إذ في صلاة الغروب نكون قد دخلنا في اليوم التالي ليتورجيًّا). لا تختلف ليتورجيّة البروجيازماني شكلًا عن صلاة الغروب المُعتادة، لكنّ المُحتوى مخصّص كليًّا لما أسميناه رحلة العبور من أرض العبوديّة إلى أرض الميعاد. بعد نشيد المساء «يا نورًا بهيًّا»، تُتلى قراءتان من العهد القديم: الأولى من سفر التكوين، وكأنّنا بالكنيسة تدعونا إلى إعادة تكوين ذواتنا لا بحسب نواميس الأرض بل بحسب مسار تدابير الله الخلاصية. القراءة الثانية من سفر الأمثال التي تقوّم فينا الإعوجاج الذي راكمناه فينا بالإنصياع إلى نواميس الأرض، والتي كأنّها تربّينا مجددًا تربية صالحة تليق بالعازمين على الوصول إلى فصح الرّبّ الخلاصيّ. تجدر الإشارة هنا إلى أنّه في قراءات «بروجيازماني» الأيام الثلاثة الأولى من الأسبوع العظيم، تكون القراءة الأولى من سفر الخروج إذ مَن جاهد حسنًا طيلة أيّام الصوم الكبير ما عاد أسير العبوديّة، بل صار في الطريق إلى أرض الميعاد، ولو كانت هذه المرحلة هي الأصعب في الرحلة كلّها. أمّا القراءة الثانية فتكون من سفر أيّوب الصدّيق، وخلاصتها كما خلاصة السفر كلّه أنّ مَن بقي أمينًا لله، مهما اشتدّت عليه التجارب، يكون الغالب، والله يعوّضه إزاء أتعابه خيرات وبركات لا تُثَمَّن.

لعلّ هذه الخلاصة هي العنوان الأساس لجهادنا الصيامّي-الفصحيّ كلّه، إذ جلّ ما نصبو إليه هو أن نتعلّم الحفاظ على أمانتنا لله، و«أن نحفظ الإيمان غير منقسم ونرضّ رؤوس التنانين غير المنظورة ونظهر غالبين الخطيئة»، كما تصلّي الكنيسة في ختام الـ«بروجيازماني».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

شهيداً في النية وتحظى، بلا اضطهادٍ ولا حريق نار ولا ضرب سياط بنفس الأجر الذي فاز به. مَن نُعجب بهم من القديسين ليسوا واحداً أو إثنين ولا عشرة من الطوباويين فقط، بل كثيرون، وكأنما لهم نفس واحدة في أجسام شتى تجمعهم وحدة الإرادة والرأي في الإيمان. وقد أبدوا نفس الثبات تجاه الأخطار، ونفس الذّود عن الحق. كلهم متماثلون فيما بينهم. متعادلون في الرأي، متعادلون في الكفاح. ولهذا أُهلوا لأكاليل مجد متساوية. فأي قول يقوم بوصف علوّ منزلتهم؟ انه لا لسان ولا أربعون لساناً تكفي لأن تمدح كما يليق شجاعة عدد كهذا من الأبطال. على أنه لو كان الممدوح واحداً لكفى به لأن يُظهر مدى عجز بياننا، فكيف بهذا الجمع الغفير، والجيش الكبير، الذي لا يُقهر ولا يُغلب في الحروب، كما يُجَلّ عن أن تدانيه المدائح.

القديس باسيليوس الكبير